مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد12 / العدد: 02 (2022)، ص 591-602

مبادئ الخطاب السياسي والديني لتحقيق البناء الحضاري عند مالك بن نبي.

The principles of political and religious discourse to achieve civilized construction when Malik bin Nabi.

Slamani abdelkader

*عبد القادر سلاماني،

جامعة طاهري محمد بشار، slakader@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/02/19 تاريخ القبول: 2022/12/21 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص:

أعطى مالك بن نبي أهمية بالغة للخطابين الديني والسياسي في المجتمعات نظرا لدورهما الوظيفي في تماسك المجتمعات وانتظام إرادة الفرد في إطار المصلحة العامة للمجتمع الذي يعيش فيه، ويؤكد مالك بن نبي في مشروعه الحضاري على أن السلم المجتمعي والتوافق الديني والسياسي لا يبني إلا بخطاب ديني وسياسي متزن بعيد عن العصبية قريب من الوسطية التي تنص عليها الشريعة الإسلامية.

يعد الارتباط الوثيق بين الخطابين الديني والسياسي أحد المرتكزات الأساسية عند مالك بن نبي لتحقيق التنمية الاجتماعية باعتبارهما أداتين فعالتين في التوجيه والتوعية ونشر قيم الوسطية التي تحدث التكامل بين تعاليم الدين ومتطلبات الدولة.

كلمات مفتاحية: مالك بن نبي- الخطاب الديني – الخطاب السياسي – البناء الحضاري – الإصلاح- التغيير – العالم العربي الإسلامي – الشروط الموضوعية- القدرة النموذجية – الذات .

Abstract:

Malik bin Nabi gave great importance to the religious and political discourses in societies due to their functional role in the cohesion of societies and the regularity of the will of the individual within the general interest of the society in which he lives, and Malik Bin Nabi emphasizes in his civilized project that community peace and religious and political consensus only builds With a balanced religious and political discourse that is far from nervous, close to

* **المؤلف المرسل:** عبد القادر سلاماني ، **الإيميل:** slakader@hotmail.fr

the moderation provided for by Islamic law. The close association between religious and political discourses is one of Malik Ibn Nabi's foundations for social development as effective tools in guiding, raising awareness and spreading the values of moderation that complement the teachings of religion with the requirements of the state

Keywords: Malik Ibn Nabi- Religious Discourse - Political Discourse - Cultural Construction - Reform - Change - Arab-Islamic World - Objective Conditions - Exemplary Capacity - Self.

Résumé :

Malik bin Nabi a accordé une grande importance aux discours religieux et politiques dans les sociétés en raison de leur rôle fonctionnel dans la cohésion des sociétés et de la régularité de la volonté de l'individu dans l'intérêt général de la société dans laquelle il vit, et Malik Bin Nabi souligne dans son projet civilisé que la paix communautaire et le consensus religieux et politique ne se construit Avec un discours religieux et politique équilibré qui est loin d'être nerveux, proche de la modération prévue par la loi islamique. L'association étroite entre les discours religieux et politiques est l'un des fondements de Malik Ibn Nabi pour le développement social en tant qu'outils efficaces pour guider, sensibiliser et diffuser les valeurs de modération qui complètent les enseignements de la religion avec les exigences de l'État.

Mots-clés: Malik Bin Nabi- Discours religieux - Discours politique - Construction culturelle - Réforme - Changement - Monde Arabo-islamique - Conditions objectives - Capacité exemplaire - Soi.

مقدمة :

إن إشكالية الحضارة وإعادة الروح للأمة الإسلامية في استرجاع الفاعلية وإقرار العدل والأمن وحفظ حقوق الإنسان في بناء الأمة والمجتمع وان يكون الإنسان العربي المسلم فاعلا في منظومته الاجتماعية ومتحرر نفسيا من الأخر أو بالأحرى من الحضارة الغربية التي أصبحت تمثل تناقضا في بروز أي فكر إصلاحي تقدمي للخروج من تبعات الماضي وبناء المستقبل فهناك العديد من الأمثلة والمبادرات الإصلاحية التي حاولت إيقاظ هذه الأمة وإعادة هيكلة الفكر العربي الإسلامي على أفكار دينية أو أفكار سياسية كمحرك نحو الاستمرارية والاستدامة.

ولكن كل تلك المشاريع لم تنجح لأنها افتقدت للفاعلية والممارسة، لذا حاول مالك بن نبي من خلال الأفكار والمشروع النهضوي الذي جاء به من خلال فهم هل تلك الأفكار التي جاء بها هؤلاء المصلحون

وعمل على تحليلها ونقد محتواها وإدراكها من خلال فهم الخطابين الديني والسياسي ومدى فعاليتهما في البناء الحضاري وفي معرفة مكامن القوة والضعف في هذين الخطابين وكيف يمكن الاستفادة منهما لإعادة السيرورة الاجتماعية نحو التقدم والنهوض بالأفكار والتجديد والتغيير في أساليب التفكير وحتى طرق الفهم الصحيح والدقيق للأشياء، وفي كيفية صياغة الخطاب الديني ومدى إنتاجيته وكيف يمكننا إنتاج ذلك التواصل الفكري بين الخطابين الديني والسياسي لتجنب الصراع المعرفي الحضاري من خلال معرفة الذات وفهم الدين الذي يعتبر جزأ لا يتجزأ من المشروع الحضاري.

محتوى النص

1. مبادئ الخطاب الديني في فكر مالك بن نبي:

إن أسس نهضة المجتمعات الإسلامية هو تصحيح الفكر وليس العقيدة كما يعتبر البعض، لذا عمل المفكر مالك بن نبي على تجديد الأفكار المتعلقة بالإشكالية الاجتماعية والثقافية،من خلال عرفة الذات من خلال الأخر، واعتبر مالك بن نبي إن الدين جزأ لا يتجزأ من المشروع الإنساني[1] (مالك بن نبي، 1986، ص 112) فمن أهم الأفكار التي دافع عنها هي:

- أسلمة الحداثة.
- التجديد بالإسلام.
- التآخي الفعلي هو أساس قيام المجتمع الإسلامي.
- إصلاح الفكر هو أساس النهضة (مؤمنة زكية كرفيس، 2018، ص 104).

يتمحور فكر مالك بن نبي حول مشكلة التخلف الحضاري في المجتمعات الإسلامية ومن أسباب هذا التخلف هو الخطاب الديني الذي أصبحت أفكاره منحصرة فقط في كيفية التدين مع إغفال الجانب الإنساني فالإشكالية تكمن ليس التزود بالعلوم فالانفصال بين الفكر والعمل ليس هو السبب الوحيد في جمود التفكير الإسلامي وإنما يعود للخلط بين بين جوهر الظواهر وأشكالها فلم تستطع حركة الإصلاح من تعديل الاستعداد العقلي في هذه الناحية تعديلا جوهريا فليس هناك مجامع فكرية تشرف على توجيه الحياة الأدبية وعلى توثيق الصلات وتغذية المناظرات بين المدارس المختلفة ، (مالك بن نبي، 2002، ص ص 84-87)فالخطاب الديني في نظرة مالك بن نبي هو لا بد من تقديم الإنسان المسلم الواثق من نفسه والمقتنع بإمكاناته، فالتخلف الحضاري في ماهية الخطاب الديني يتمثل في الإنسان المسلم الذي أصبح متقوقع على فكرة التدين مع إغفال الجانب الإنساني والدوافع المهمة للتنمية من فهم عملية التكيف وعدم استنباط دورهم الاجتماعي، معناه التخلي عن الدور الاجتماعي فمشكلة الشعوب هي مشكلة حضارة فلا يكمن فهم الحضارة من دون معرفة الحداثة الإنسانية والتعمق في عوامل الحضارة وزوالها (مالك بن نبي، 1986، ص19).

لقد جعل مالك بن نبي من الواقع الاجتماعي الإسلامي في مرحلة انحطاطه محورا لتأملاته تهدف لمحاولة استئناف خط النهضة والإصلاح والتغيير الحضاري لذا قام باستقراء المحاولات التاريخية التي قام بها رواد الإصلاح في العالم الإسلامي أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب عبد الحميد بن باديس ...وغيرهم من خلال تحليله للحركات التغييرية التي لم تحقق النجاح لأنها وقفت على جوانب جزئية دون الخوض في الجوانب الأساسية أما السياسة والمجتمع والأخلاق، ولم تتوصل للنظرة الشاملة المتعلقة بمشكلة الحضارة ونطاق مبادئ التغيير اللازمة لدراسة مشكلة الحضارة وعوائقها (نورة خالد السعد، 1998، ص 269).

فلقد استنفذت الحركات الإصلاحية التي ظهرت بوادرها في المجتمع الإسلامي كل إمكانياتها في محاولة تبصير المجتمع بالحالة التي يعيشها من تخلف وجمود وتراجع فاعتمدت على اتخاذ النهضة بمختلف القيم الإسلامية التي كانت تحملها كسند للوقوف ضد حدة الصراع العالمي الذي فرض نفسه في القرن 20م فهذه الحركات أنتجت للمجتمع الإسلامي فكرا للدفاع عن النفس أو تبرير الذات دون الوصول للشروط الأساسية والواقعية لهذا المجتمع.

إن هذه الحركات الإصلاحية لم تنطلق من مبدأ البناء الحضاري الذي أساسه التغيير وفعاليته داخل المجتمع بالرغم من أن هذا الإصلاح اخذ مبرراته من الإصلاح الديني ولكن لا يستطيع أن يغير بمفرده لا بد من وجود شروط موضوعية تقتضي إدماج المجتمع داخل سياق جديد يسيطر على مبدأ التغيير بضمان واقعا اجتماعيا مغايرا لاستراتيجية الدفاع والتبرير والنهضة، فالأفكار الإصلاحية لابد أن تجد لها وعاء داخل الأشخاص لكي تضمن الريادة في عالم البناء والتغيير والتوجيه وفق الوجهة التحليلية لمالك بن نبي على المجهودات التي تضمنها الفكر النهضوي الإصلاحي (مالك بن نبي، 1991، ص ص 47-48).

فالأفكار الإصلاحية والجهود النهضوية التي ظهر صداها في العالم الإسلامي تعود تاريخيا إلى نوع من العجز إذ لم تعالج المشكلة الحضارية بل بقيت كحال المتفرج على تلك الحالة المرضية في المجتمع الإسلامي باقتراحها لحلول جزئية أحادية الطرح تتعلق إما بالإصلاح السياسي أو الإصلاح الديني أو الإصلاح التربوي أو الإصلاح الأخلاقي دون إدراكها أن المشكلة هي مشكلة حضارة بأكملها تخص المجال النفسي والاجتماعي بجميع القيم الثقافية والمادية التي تحيط به إذ ليس الحل في الحالة المرضية التي تتأصل في المجتمع الإسلامي في جذوره التاريخية.

فالحل يكمن في نظرة تأملية تحليلية لطبيعة الحقبة التاريخية التي يعيشها العالم الإسلامي والتي يتأكد ضمنها إن المجتمع الإسلامي يشرف على بادرة الحضارة فتكون هذه المرحلة استعداد لإستراتيجية تغييريه فعالة قصد الدخول الفعلي في الحضارة لان الحضارة هي التي تلد منتجاتها (مالك بن نبي، 1986، ص ص 60-61).

الصيرورة التاريخية للإصلاح والتجديد الديني في الإسلام هدفه استعادة العصر الأول، فلم تكن لحركات الإصلاح الديني القطيعة مع تجاوز الفهم النصي (نواف القديمي ، 2008، ص 153)، ليس هذا من

اجل تجاوز النص أو تقويضه وتفكيكه ولكن من اجل تفعيل هذا النص في ميدان العمل وهذا لا يرجع لعدم فهم النص الديني وإنما يرجع لعدم امتلاك الفعالية التي تجعل من هذا النص الديني معاصرا لنا في ميدان العمل والسلوك (احمد الشريقي وآخرون ، 2002، ص ص 39-40).

لقد بين الخطاب النهضوي في العالم العربي الإسلامي أن الحل يكمن في استعادة الماضي التاريخي وإسكانه مع مطالب الحاضر، ولكن مسار الفكر النهضوي العربي بهذه الصورة يؤدي إلى نهاية تاريخه بتراجع التفاؤل للمخيلة والعقل العربي منذ قرون فلم يكن الفكر العربي الإسلامي يفكر في الحضارة كضرورة للخروج من التخلف والانحطاط وإنما جاء الفكر النهضوي كفكر ووعي استثنائي فلم تكن للمخيلة العربية أن تنتج فكرا حضاريا لو لم يسبقها العالم الغربي وحدد المعيار الحضاري، كما إن الوعي العربي لا ينتج بادرة حضارة بالمفهوم الحديث إلا إذا تواجد ما يفرضه من الخارج، فلم تستطع الثقافة العربية في حديثها ومعاصرها من صهر المتناقضات التي تتخبط فيها تاريخيا.

فالثقافة أصبحت لا تلامس الواقع الحضاري إلا من بعيد لأنها لم تنتجه وإنما وجدته جاهزا وهذا ما يؤدي إلى الانكسار والتكدس الحضاري لذا وقع العالم العربي الإسلامي في تناقض مزدوج فلا هو أنتج الثقافة التي تنتج الحضارة ولا استطاع أن يتأقلم مع الحضارة الغربية وطبيعة الخصوصية الثقافية التي ينتمي إليها (رضوان جودت زيادة، 2005، ص ص 379-380).

فهناك تصدع في تيار الإصلاح النهضوي من حلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالرغم من الدور الذي يقره مالك بن نبي في تثبيت جمعية العلماء المسلمين لترسيخ الدين الإسلامي وفكرة الإسلام الصحيح وتوعية المجتمع بقيم ومبادئ الإصلاح الاجتماعي وضرورته إلا أن ذهاب علماء الجمعية إلى باريس للمطالبة بمطالب الشعب الجزائري اعتبره خرقا للمنهج الذي تتبعه الجمعية وهو توعية الشعب الجزائري وتعليمه وتهيئة الظروف للتغيير لان مفتاح القضية في روح الأمة وليس في مكان أخر (نورة خالد السعد ، 1998، ص 36).

وان ضرورة التغيير تأتي من الداخل وليس من الخارج فالروح عندما تكون مستعدة للتضحية والوقوف على المبدأ باستطاعتها رسم في الواقع مشروع الإصلاح الاجتماعي والثقافي التي تعبر عن مسعى الروح في تحقيق مطالبها التغييرية.

فالوضع الحضاري الذي آل إليه العالم الإسلامي في ظل المتغيرات العالمية الراهنة لم يجد الإنسان المسلم العربي سوى المطالبة بالمسكن الحضاري دون أن يسلك المبدأ الثقافي الملائم لطبيعة هذا المسكن الذي لا يمكنه من تجاوز المستقبل الإنساني في إمكانية فعالية العالم الثقافي الذي هو الأصل في كل امتداد ثقافي فالحضارة تجاوزت الثقافة.

فحسب مالك بن نبي أضحى الإنسان العربي يعانيه اليوم من تأزم حضاري طال وجوده النفسي والاجتماعي حينما اغترب عن مبدأه السماوي الفكرة الدينية وراح يعيش زمن التراث المنقضي من مخيال نفسي اجتماعي لا يدين لهذا المبدأ سوى بفضل الانتساب إذ باسم الدفاع عن الإسلام رسم الإنسان المسلم

عن الإسلام صورة مخيفة حينما عجزت البنية الثقافية اقتحام العالم الأخر وإيجاد صيغة للحوار يمكنها أن تجعل الإسلام فكرة حية لا فكرة جامدة، إن الصلح يكون مع الذات الداخلية وبنياتها الثقافية في إطار الحوار ، وهذا الشرط لم يتحقق في فكر الإنسان العربي المسلم لأنه محكوم لا شعوريا بعالم الغد في أزمات اليوم وإرادة الوعي لديه لفظية في خطاباته فمصطلح الثقافة مثلا التي يوظفها مالك بن نبي في خطاباته.
هناك مصطلحات غربية لا أساس لها في العالم العربي الإسلامي فهذا المصطلح الثقافة كمصطلح غربي لا يماثل في المعنى العربي الإسلامي كما هو مبين عند الغرب الذي يعبر عن فكر إنتاجي من ذاتيته الخاصة وخصوصيته النفسية والاجتماعية، لذا يسعى مالك بن نبي تأسيس مضمون مستقل من الوجهة النفسية لاستعادة الثقة لدى الإنسان لبناء الإنسان والمجتمع لإعادة الدور الريادي من اجل بناء الحضارة الإسلامية المأمولة (لكحل فيصل، 2012، ص 15) .

وضعية الإنسان العربي المسلم في الراهن التاريخي لم تكن لديه انطلاقة حاسمة تؤهله للانتقال من مجال اللفظية والاصطلاحية إلى مستوى الفعالية الحضارية الهادفة والواعية إلى التغيير فمصطلح التغيير والنهوض والإصلاح لم يرتق لمستوى تفعيل اللفظ للعمل والانجاز الحضاري فالأفكار في العالم الإسلامي هي أفكار مطبوعة لم تعد تأتي بأفكار جديدة بل أفكار منحلة متصدعة موضوعة فهذه الأفكار تفقد آليات الاستمرار ومقوماتها ووجودها الذاتي وأصولها الثقافية.

إن الخلل لا يكمن في تعاليم الدين ومبادئه لان الحق لا ينتج إلا الحق، وحالة الركود والانحطاط التي يعيشها العالم الإسلامي لا تعود لجهلهم لحقائق الدين والأخلاق وإنما لافتقاد هذه الحقائق إلى المنطق العلمي والفعالية السلوكية التي تعكس المبادئ على ارض الواقع وهذا الانعكاس يؤدي إلى التغيير والتجديد الحضاري المستمر.

فالجانب الأخلاقي مهم في بناء الانسان على ان يكون فعالا وقادر على العطاء وخوض معترك التدافع الحضاري بضمانات اكيدة في النجاح والتألق عن طريق التوجيه الأخلاقي لتكوين الصلات الاجتماعية.

والتوجيه الجمالي لتكوين الذوق، مع المنطق العملي لتحديد اشكال النشاط العام، والعمل على صناعة او تطبيق الفن الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع (نبي، 1979، ص 79-89)، وتتضمن هذه الاسس محاور أساسية أهمها: محور منظومة العالم المعرفي والعالم الروحي والعالم السلوكي ومنظومة الخبرات الانجازية (برغوث، 1993، ص 15)، فالإنسان هو نتاج البيئة التي يتخرج منها ويصبغ بها فيحصل على الطبائع والأخلاق وانماط التفكير بحسب بيئته.

إشكالية حلم الحضارة في العالم العربي الإسلامي في الوعي والضمير الإنساني بدأت مع أوائل القرن 19 م وامتدت إلى القرن 20م حول كيفية الرقي والتطور وسؤال النهضة والتغيير ليشغل كل التيارات الفكرية وحتى السياسية برموز الإصلاح أمثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا تكثيف الجهود حول قضايا الهوية والأفكار التي أصبحت تدافع عنها اوجد العديد من الأفكار والتيارات والفلسفات حول الصراع

عن مدى محورية الفكر الحضاري وقضايا النهضة في العالم الإسلامي المعاصر (نواف القديمي، 2008، ص 135).

فالإنسان العربي المسلم أصبح يملك التغيير كفكرة من دون مبدأ أما من الجانب التطبيقي فتجاوزته فكرة التغيير التي أصبح يراها أو تفرض عليه من الخارج لان نمطية التغيير التي لا تأتي من إرادة واعية وهادفة سرعان ما تتلاشى لذلك على الإنسان العربي المسلم أن يدرك أن هذا العصر هو عصر المتغيرات والانطلاق التاريخي دون العودة للماضي، مع عدم قبول الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه فالمفارقة لم تعد تطرح على المستويين النفسي والاجتماعي فقط بل تعدته إلى مجالات أخرى المجال السياسي والاقتصادي، فأصبح الإنسان المسلم وفكرته الإسلامية كمبدأ متناقضة (محمد اركون، 1993، ص ص 188-189)

فمن أسباب بعد الغرب عن اتخاذ الإسلام كصيغة حضارية للحوار معه سببه هو أن المسلمين بعيدين عن تعاليم الإسلام فالغرب يعرف قيم الإسلام ومبادئه في شكله الماضي التاريخي الحضاري كأفق لنهضة الإنسان والمجتمع الإسلامي الأول، وأدرك تدهور وانحطاط الإنسان المسلم الذي انفصل عن أصله الثقافي وأصبح مغتربا فأصبحت الدراسات الدينية تسقط الدين الإسلامي من دراساتها ليس لفهمه وإنما للتأثر به.

فمسعى مالك بن نبي في هذا الطرح هو الخروج بالخطاب الإسلامي من مرحلة الدفاع عن الإسلام إلى مرحلة النظر العلمي الموضوعي الموجه بقيم الإسلام وعقيدته لإيجاد الحلول العلمية لهذا الكم الهائل من مخلفات ما بعد عصر الموحدين (نورة خالد السعد، 1998، ص 38).

ولا بد من البحث عن وسيلة للخروج من التخلف وتبعاته بمشروع تغييري ثقافي اجتماعي حضاري بصفة عامة، والعودة بالمجتمعات الإسلامية لدائرة الحضارة. (نورة خالد السعد، 1998، ص 42)

إن ما يلاحظ على العالم العربي الإسلامي هو افتقاد فعالية الثقافة وإرادة التغيير وهجرة المبادئ والقيم وهذا ما أدى إلى ضعف الارتباط بالفكرة والمبدأ والارتباط بالأشخاص والهيئات (الطيب برغوث ، 2004، ص 134)[17] الذي لا يؤدي للارتباط والفعالية لتكوين حضارة فالارتباط بالفكرة تبقى حية وان زال أصحابها فالفكرة تبقى في العقل والضمير وتتحول إلى إرادة فالتغيير يأتي من الفكر وليس من الأشخاص (كي نجيب محمود، 1981، ص 195).

فالقضية الجوهرية بغض النظر عن المتغيرات التي يفرضها العصر هي قضية المبادئ والمسلمات بل قضية ترجمة أو تعبير عن هذه المبادئ أو تصبح هذه المبادئ والمسلمات حقائق اجتماعية[19] (مالك بن نبي، 2006، ص 74)، فقد ركز مالك بن نبي على أهمية المبادئ من حيث فعاليتها العلمية والواقعية السلوكية عمليا، فهذا من شأنه يمكنه من تغيير الفرد داخل المجتمع مع حركية التاريخ، لأن ما يتطلبه الواقع هو إيجاد التشخيص الأمثل لحالة الانحطاط الحضاري للعالم الإسلامي وإيجاد الحلول والاقتراحات اللازمة لتجديد

الوعي النهضوي الحضاري، من خلال بث فعالية مبادئ الحضارة الإسلامية في عهدها الأول وواقعها الحضاري والاجتماعي الذي يواجهه العالم العربي الإسلامي (فارس عزيز المدرس، 2004، ص 55).

فما نستنتجه من الخطاب الديني انه يرتبط بدراسة النظم السياسية وعلاقتها بالقيم الدينية للأمة من منطلق ديني يفرز النظام السياسي الملائم له، فطبيعة النظام السياسي وديناميكيته تعد أحد مؤشرات الحكم على طبيعة التوجه الديني.

كما يرتبط الخطاب الديني بالفكر الإصلاحي للمجتمع فتعد حركة الأنظمة السياسية أحد المؤشرات المهمة للحكم على مدى التوافق بين مقومات الدين وطبيعة النظام السياسي للحكم.

2. آليات الخطاب السياسي في فكر مالك بن نبي:

يرى مالك بن نبي أن الخطاب السياسي أن ضرورة بناء حضارة إسلامية على الأرض الإسلامية ومن طرف الفرد المسلم وفق الأعراف والتقاليد الإسلامية لا يمكنها أن تكون بالإصلاح السياسي كما يراها الأفغاني آو التقدم الإسلامي وإصلاح العقيدة كما يراها محمد عبده وإنما لابد من عدم اقتناء حضارة غربية فنحن نريد نهضة حضارية وليس إنشاء حضارة تقتصر على الأشياء الكيفية تضمحل معها الروح والأفكار والذات فالحضارة في الخطاب السياسي عند مالك بن نبي تقتصر على مجموعة من الشروط الموضوعية تتمثل في الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح للمجتمع أن ينهض بالاعتماد على إمكاناته الذاتية [21] (مالك بن نبي، 1986، ص ص 48-49).

إن فكرة مالك بن نبي لا تتمثل في تلقين المسلم عقيدته ولكن لابد من تلقينه كيفية استخدامها ومدى فعاليتها في الحياة وان المصلحين اغفلوا هذه المشكلة الجوهرية، ومن جهة النظر الاجتماعية تجابهه الظروف التاريخية التي تجعله يختار بين التمسك بالنص الديني حرفيا أو بروحه مادام التمسك بروح الدين لا يشكل ضياع جوهره (مالك بن نبي، 1991، ص 123).

من هنا يدعو مالك بن نبي بعدم الهروب من الواقع والشعور بمركب النقص ويوصي علماء الإسلام بالأمانة ولا تكون غايتهم بلوغ المناصب السياسية بالابتعاد عن الذاتية (مالك بن نبي، 2004، ص 368).

لاحظ مالك بن نبي حركات الإصلاح في العالم الإسلامي في صورتها الجماعية والفردية لعدد من العلماء ووقف على الأشياء التي حدت من جهودهم ودورهم على أن شمولية وعمق الرؤية أو على مستوى الطرح أو الفاعلية فمن ملاحظاته التي لا تصب في النقد الذاتي بقدر ما تصب في التوجيه والنصيحة كموقف أخلاقي وطني.

انطلق مالك بن نبي في دراسته لهذه الجهود في إبراز بعض الملاحظات والتساؤلات للمساهمة في إبراز الرؤية الإصلاحية وبعث مشروع متكامل قادر على تحقيق النهضة والفاعلية الحضارية، فلاحظ أن النشاطات النموذجية في المجتمع الإسلامي طغى عليها التبديد والجهل وهذا ما جعلها محدودة الفعالية والتأثير في الزمان والمكان، كما تسائل عن غياب تيار نوعي إسلامي قادر على تحقيق الفاعلية (مالك بن نبي، 1990، ص ص 59-64).

بالرغم من أن الحركة الإصلاحية في عمومها نجحت في تحديد القيم الإسلامية إلا أنها عجزت عن الإمساك بالواقع وهذا ما أدى برجالاتها يتصفون بالعاطفية وأسلوب التبرير في غياب نظرة مستقبلية من خلال مشاريع حضارية تنتقل عبر الأجيال فبالرغم من إعجاب مالك بن نبي بالجهود التي قام بها جمال الدين الأفغاني الإصلاحية والتي اعتبرها ثقافة فردية، ولكنه طرحه لم يكن عميقا ركز على الإصلاح السياسي وفق منهج ثوري (مالك بن نبي، ، 2002، ص ص 49-50).

إن الحضور السياسي للمشكلة الإسلامية في فكر جمال الدين الأفغاني كان أكثر حضورا من حضوره العلمي، بينما اقتصرت جهود محمد عبده على إصلاح علم الكلام والتركيز على العقيدة الإسلامية لتغيير الأوضاع القائمة.

يقول مالك بن نبي: وربما لم تكن هذه الاعتبارات لتخفى عن أعين القائمين على المدرسة الإصلاحية، لو أنها استطاعت أن تقوم بترتيب أفكارها وتجميع عناصرها لتوحد ما بين الأفكار الأصول التي ذهب إليها محمد عبده وبين الآراء السياسية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني (مالك بن نبي، 2002، ص ص 53-54).

1.2- دور الاستعمار في النزعة السياسية:

ان مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي نتاج تزايد الحاجة لمجابهة التحديات ، لان الثقافة هي التي تهيء المناخ الصحي اجتماعيا وتربويا ، فيصبح الانسان صانع للحضارة ، حل المشكلة الثقافية هو حل للمشكلة السياسية، فساد الحكومات هو فساد ذات الانسان في المجتمعات التي تتولاها الحكومات فالحكومة هي الة اجتماعية تتغير تبعا للوسط الذي تعيش فيه وتتنوع معه ، فاذا كان الوسط نظيفا حرا ، فما تستطيع الحكومة ان تواجهه بما ليس فيه واذا كان الوسط متسما بالقابلية الى الاستعمار فلا بد ان تكون حكومته استعمارية (نبي، 1979، ص 30-31)، فالاستعمار هو ليس عبث السياسيين ولا من افعالهم بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له في ارضها ، ولا سبيل للخروج من هذا المأزق سوى السعي لخوض معركة التحرر الفكري ، فاذا كانت الاعمال هي الوجه التطبيقي للافكار فان التحرر الفكري والاعداد للجو الثقافي هو طريق تقويم الاعمال لأنه اذا صلحت الاعمال يصلح البناء (نبي، وجهة العالم الإسلامي، 2002، ص 97).

2.2- النزوع الى البولتيك :

يفرق مالك بن نبي ين مفهوم السياسة والبولتيك، فيرى ان السياسة هي كل صورة تخدم الشعب وتغير مصيره اما البولتيك فهي عبارة عن صرخات لمغالطة الشعب، والعمل على استخدامه لذ يعتبر هذه النزعة السياسوية من نقاط الضعف، التي أسهمت في إعاقة النهضة العربية لأنها تفسد مقاصد السياسة فهي عبارة عن مكاسب شخصية على حساب مستقبل الحضارة ، فالبوليتيك يشغل الشعب بظواهر هامشية على حساب مشكلات حيوية يمكنها ان تغير من الواقع المعاش(سالم فتيحة،2020، ص29-30) .

3.2-المبادئ الأخلاقية في العمل السياسي:

ربط مالك بن نبي العمل السياسي بالفكر الديني والأخلاقي يتلخص في مجموعة من الشروط لابد من توفرها في الفرد الذي يمارس النشاط السياسي من اهك هذه الشروط هي نية الإخلاص لله في العمل ومحاسبة النفس وتقويمها مع توازنها الاجتماعي والنفسي وشرط التوكل على الله فالسلوك الإنساني القويم هو أساس لفاعلية البناء الحضاري في ظل توفر هذه الشروط الدينية الإسلامية الصحيحة (سالم فتيحة،2020، ص31-32).

3. الخطابين الديني والسياسي في تبلور البناء الحضاري عند مالك بن نبي :

من خلال الخطابين الديني والسياسي كان واجبا على العالم العربي الإسلامي مواجهة مشكلة الحضارة بالوعي وقيمة الفلسفة التي تؤسس لمقومات النهوض الحضاري ليس كأفكار وتصورات مثالية لا علاقة لها بالواقع بل لا بد من أن تأخذ مبدأ الفعالية العملية والارتباط بالواقع النفسي والاجتماعي للإنسان العربي المسلم وتتلاءم مع الوجود النفسي والاجتماعي في نقده في رؤية وحركة شاملة لا تتوقف مع ديناميكية حركة الحياة والفكر البشري بكل أبعاده الحسية والمعنوية حتى يتكون الحس النقدي والفلسفي الذي يتخذ الواقع النفسي والاجتماعي بكل أبعاده لفهمه وتفسيره ونقده للقدرة على ضمان عكس التصورات والمبادئ والسلوك والأعمال لواقع مثالي معين.

إن النقد وحده يمكن أن يملك الفكر العربي الإسلامي المعاصر للفعل الحضاري ولابد أن لا يقتصر النقد على التراث والعقل فقط بل على مستوى الممارسة والفعل والعمل في المجتمع والسياسة والاقتصاد نقد حتى التصورات الفلسفية التي تنمط معايير القيم والمبادئ (لكحل فيصل،2012، ص 21).

- **3- 1 . المبادئ الأخلاقية في العمل السياسي:**

فحسب مالك بن نبي أن ما يتطلبه العالم العربي الإسلامي هو انتهاج عملية تغيير عام يمس طريقة تفكير الإنسان مهما كان بغض النظر عن مؤهلاته العلمية من خلال تكوينه الحضاري الواعي وكيفية تعامله مع الحياة ومشاكلها بطريقة منظمة ومبادئ ثابتة تمكنه من النهوض والتقدم وتبعده عن السطحية والانفعالات السطحية غير المدركة (فارس عزيز المدرس، 2004، ص 142).

إن فلسفة الحضارة عن مالك بن نبي هو الوعي بمتطلبات التغيير التي تؤهل العالم العربي الإسلامي للبناء الحضاري والتغيير الإنساني لمحيطه وبيئته وتصوراته وأفكاره وقيمه وسلوكياته والنظام الذي يحدده ويضبط قواعده وتوجيه شؤون حياته الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية[29] (برغوث الطيب، 2004، ص 162)، فلا يمكن أن نتكلم عن التغيير إلا من خلال الاستعداد التام للإنسان التي تجعله واقعة تغييرا حضاريا فلا بد من اخذ المعنى الحقيقي للتغيير في جميع مجالاته والذي يحمل كل المتغيرات الحضارية من الناحية السياسية والتنظيمية المادية والتكنولوجية مع مراعاة أسس التغيير وتحديد الأهداف المرجوة ونظرية العمل وأسلوب التغيير (منير شفيق، 2005، ص 162).

فالتغيير الاجتماعي والحضاري لا يتأتى إلا في ظل القدوة النموذجية على مستوى الفكرة المرجعية والسلوك الفردي والأداء الاجتماعي، فالتغيير الحضاري تحكمه القدوة النموذجية في التفوق والإشعاع

والانفتاح المتجدد على مستوى المرجعية الفكرية والمنهاج والسلوك الفردي وعلى مستوى الأداء الاجتماعي والحضاري للمجتمع والأمة (برغوث الطيب، 2004، ص ص 03-04).

تكمن أهمية الفرد في المجتمع ليس كون دوره يقتصر على حفظ النوع بل يتوجب عليه إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يمثله قناعة وتمسكا فالتغيير مرتبط بذات الإنسان حتى تتغير الجماعة (احمد السحمراني، 1986، ص 198) .فأبعاد التغيير الحضاري للإنسان العربي المسلم ترتبط مع تربية دينية وأخلاقية واجتماعية ترتكز على علاقة الإنسان بذاته وعلاقته بغيره كونه كائنا اجتماعيا له حقوق وعليه واجبات، من هذا المنطلق يمكننا بناء إنسان حضاري يستطيع من أن يجعل إبعاد للتغيير الحضاري كأمر ناتج عن الفاعل الثقافي والاقتصادي والسياسي والتربوي تلك هي الخطة الجوهرية التي توضح الخطوط العامة للمشروع الحضاري لمالك بن نبي في فهم الخطابين الديني والسياسي لبناء أسس الحضارة والتفاعل الحضاري.

فالحل العاجل للمشكلات الحضارية التي يواجهها العالم العربي الإسلامي ليس الوقوف على الأزمات والاستسلام للتاريخ أو الانصهار في حضارة الغرب وإنما وضع لبنة لبناء حضاري.

الخاتمة:

إن كلا من الخطابين الديني والسياسي حتمية ضرورية للتفاعل الحضاري في إقرار الصلة الوثيقة بين الفرد والمجتمع والنظام السياسي المتبع لخدمة الأمة في نهوضها وتطورها فأساس النهضة الإسلامية ترجع إلى مدى فاعليتها في فكرها وسلوكها الاجتماعي من خلال التكيف الذي لا بد أن يتوفر بين السياسة المتبعة وثقافة المجتمع لتطبيق تلك السياسة.

فقد أدرك مالك بن نبي قدرة الفكر الديني الإسلامي على إبداع التغيير النفسي والاجتماعي والفكري للبناء الحضاري، فالفكرة التوحيدية الجديدة ركيزة أساسية لميلاد مجتمع جديد في صياغة القيم النفسية والاجتماعية والثقافية لتتماشى والمعطيات التاريخية وفق أساس نظرية الإرادة والتحدي ففهم الخطاب الديني يأهل الإنسان لاستعادة التوازن في خوضه لمشكلات الصراع الحضاري وإيجاد حلول للإنسانية.

هذه الحقائق دفعت مالك بن نبي لوضع دعائم للفاعلية الثقافية للمجتمع الإسلامي من خلال تخطيط تربوي أخلاقي وعلمي دقيق لإيجاد نموذج إنساني فعال وايجابي من خلال التأكيد على طبيعة العلاقة بين الأفكار والفاعلية وعدم الخلط بين الفاعلية والصدق الذي يستخدم لتشكيك المسلمين في إسلامهم ففاعلية الثقافة هي التي تدعوا للبناء الحضاري من خلال ربطها بتعايش الثقافات.

- قائمة المصادر والمراجع:

اولا- المصادر:

1) مالك بن نبي ، (1990)، فكرة كومنولث إسلامي، (ترجمة الطيب الشريف، المترجمون) الجزائر، دار الفكر.
2) مالك بن نبي ، (1991)، القضايا الكبرى، دمشق ،دار الفكر.
3) مالك بن نبي ، (1986)، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي - عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر.

4) مالك بن نبي ، (2006)، مجالس دمشق، دمشق، دار الفكر.
5) مالك بن نبي ، (2004)، مذكرات شاهد للقرن، دمشق، دار الفكر.
6) مالك بن نبي ، (1986)، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ج1،ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر.
7) مالك بن نبي، (2002)، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر.
8) ثانيا: المراجع:
9) احمد السمحراني ، (1986)، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، بيروت، دار النفائس.
10) احمد الشريقي وآخرون،(2002)، جدل النهضة والتغيير "حوارات في الفكر العربي المعاصر"، عمان، وزارة الثقافة.
11) زيادة رضوان جودت ، (2005)، سؤال التجديد في الخطاب الإسلامي المعاصر، ليبيا ، دار المدار الإسلامي.
12) الطيب برغوث ، (2004)، حركة تجديد الأمة في خط الفعالية الحضارية، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع.
13) الطيب برغوث ،(2004)، الواقعية الإسلامية في خط الفعالية الحضارية، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع.
14) الطيب برغوث، (1993)، موقع المسالة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، الجزائر، دار الينابيع للنشر والاعلام.
15) محمد أركون ، (1993)، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هشام صالح، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
16) محمود زكي نجيب ، (1981)، في حياتنا العقلية، الجزائر ، دار الشروق.
17) منير شفيق ، (2005)، في نظريات التغيير، الدار العربية للعلوم - لبنان- المغرب، المركز الثقافي العربي.
18) نواف القديمي ، (2008)، الإسلاميون سجال الهوية والنهضة" مقاربات في الفكر والممارسة"، بيروت، المركز الثقافي العربي.
19) نورة خالد السعد، (1998)، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي دراسة بناء في النظرية الاجتماعية، السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع.
20) فارس عزيز المدرس ، (2004)، الرؤية الآن دراسة تحليلية لعملية التغيير الحضاري وللواقع السياسي المعاصر، الأردن، دار الكتاب الثقافي.
21) المجلات:
22) سالم فتيحة، (2020)، البعد الحضاري لأخلاقية العمل السياسي من خلال أفكار مالك بن نبي ،مجلة الباحث، مج 12، ع03.
23) لكحل فيصل ، (2012،). التوجه الحضاري في فكر مالك بن نبي قراءة تحليلية نقدية. مجلة التربية والابستمولوجيا، مج2، العدد03.
24) مؤمنة زكية كرفيس ، (2018)، الاعتدال في فكر مالك بن نبي ودوره في تحقيق التوازن الخطابي والتنمية المجتمعية قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة الأنبار للعلوم الإنسانية ، مج02 العدد04.